من أساليب التحليل البياني للمفردة القرآنية

الباحث. أحمد عبد الفتاح نعيم مشاري

أ.د. ياسر احسان رشيد

جامعة الانبار

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

Journalofstudies2019@gmail.com

الملخص:

يهدف هذا البحث الى دراسة قسماً من الاساليب الإجرائية التي تكشف الصورة البيانية التي تتميز بها المفردة القرآنية عند تحليلها بيانياً، وبعد تأملٍ طويلٍ لأسفار التفاسير البيانية والبلاغية خَلَصتُ الى انَّ تعبيرهم عن المعنى البياني في تفسير المفردة القرآنية قائم على أساليب عدَّة وقد جاء هذا البحث الموسوم بـ(من أساليب التحليل البياني للمفردة القرآنية) ليقف على أبرز أساليب التحليل البياني واستجلاء المعاني البياني الموجودة في المفردة القرآنية.

الكلمات الافتتاحية: (أساليب، التحليل، المفردة، القرآنية).

One of the methods of graphic analysis of the Qur'anic vocabulary

researcher. Ahmed Abdel Fattah Naim Meshary

Dr. Yasser Ehsan Rashid

Anbar University

College of Education for Human Sciences

Department of Quran Sciences and Islamic Education

Abstracts:

This research aims to study some of the procedural methods that reveal the graphic image that characterizes the Qur’anic term when analyzing it graphically. (One of the methods of graphic analysis of the Qur’anic term) to stand on the most prominent methods of graphic analysis and clarify the graphic meanings found in the Qur’anic term.

Introductory words: (methods, analysis, singular, Quranic).

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

وبعد:

فإنَّ التحليل البياني الذي يمارسه المفسر أو البلاغي بياناً لاختيار المفردة القرآنية منطلقٌ من اعتداده **بـ(الدلالة الهامشية)** أو ما يسمى في الدراسات الدلالية الحديثة **بـ(ظلال المعنى)** الذي يعني: كشف ما تختزله المفردة القرآنية من ايحاءات دلالية هامشية في سياقٍ خاص، ومن ثَمَّ يظهر سرُّ الجمال المكنون في المفردة القرآنية.

يبدأ أسلوب التحليل البياني للمفردة القرآنية من أن يعمد المفسر الى محاولة استبدال عناصر لغوية مقاربة بعناصر لغوية تشكلت منها السورة، ثم ينظر محللاً ما استَبدَل بما أُستُبدِلَ؛ ليتأتى للمفسر استبصار بعض معالم خصائص تلك العناصر اللغوية التي تفردت بها مفردات النص القرآني لتعطي دلالة بيانية.

كان للمفسرين والبلاغيين أساليب اجرائية عَبَّروا بها عن المعنى عند التحليل البياني للمفردة القرآنية، وبعد تأملٍ طويلٍ لأسفار التفاسير البيانية والبلاغية خَلَصتُ الى انَّ تعبيرهم عن المعنى البياني في تفسير المفردة القرآنية قائم على أساليب عدَّة وقد جاء هذا البحث الموسوم بـ(**من أساليب التحليل البياني للمفردة القرآنية**) ليقف على بعضاً من أساليب التحليل البياني للمفردة القرآنية؛ ليكشف المعاني البياني الموجودة في المفردة القرآنية معتمداً على أهم المصادر والمراجع في هذا الموضوع.

أهمية الموضوع:

يُعدُّ تحليل المفردة القرآنية من خلال قيمتها البيانية مسلكاً يكشف مرامي اعجاز النص القرآني؛ لذلك كان التحليل البياني أمراً مهماً في كشف صورة من صور التفسير البياني مما يؤكد أن التعبير القرآني تعبير فنيٌ مقصودٌ كما يقول الدكتور فاضل السامرائي.

وقد قسمتُ البحث الى مقدمة وثلاثة مطالب وهي: المطلب الاول: أسلوب تحليل ايحاء المفردة القرآنية، المطلب الثاني: أسلوب تحليل الدلالة الصوتية، المطلب

الثالث: أسلوب تحليل بنية المفردة القرآنية، يتخللها بعض التقسيمات التي دعت إليها منهجية البحث، ثم اتبعتها بخاتمة.

المطلب الاول: أسلوب تحليل ايحاء المفردة القرآنية:

أولاً: تحليل الايحاء النفسي في المفردة القرآنية:

أنَّ ما استقر من تقرير صلة البلاغة القرآنية بعلم النفس قد مهد السبيل الى القول بالإعجاز النفسي للقرآن الكريم كما أوضح عن وجه الحاجة الى تفسير نفساني للقرآن الكريم يقوم على الاحاطة الممكنة بما عرف العلم من أسرار حركات النفس البشرية[١]؛ لأن المفردة القرآنية قابلة لقراءات متعددة من صور الاعجاز النصي، فهي كما تؤدي معنى عام يمكن أن تصاحب معنى بلاغي نفسي مؤثر في المتلقي.

فإذا تقرر القول بأنَّ هناك علاقة بين البلاغة القرآنية وعلم النفس وهذا مطلب المنهج البياني يصبح تحليل المفسر البياني أكثر من مجرد تتبع الصيغ والمقاييس البلاغية للمفردة القرآنية، فلا بد والامر ذا من أن يزن وقع الكلمة وما يمكن أن توحي به أصواتها من دلالات تحدث الاثر النفسي المطلوب[٢]؛ لتبرز التوظيف السياقي لها.

ومما راعته العملية التفسيرية في ألفاظ النص القرآني مراعاة الوقع التأثيري النفسي في حقل مفرداته الدلالية، وبسببٍ من هذا اتجه المفسرون الى تحليل الملحظ النفسي الذي توظفه المفردة في السياق القرآني، فكثيراً ما يعدل التعبير القرآني عن مفردة الى مفردة فيها حس نفسي وجداني لا يمكن أن تؤديه المادة المعدول عنها؛ لمزية تعبيرية، كاختيار مفردة (آنس) بعد أن عدل عن (عَلِمَ) و (رأى)، كما في قصة سيدنا موسى (عليه السلام) في قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ

١ ينظر: دائرة المعارف (مادة تفسير) ، للأستاذ أمين الخولي: ٤٣٧.

٢ ينظر: المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم، د. نور الدين : ١١٣.

﴿تَصْطَلُونَ﴾[١]، وقد لاحظ التحليل البياني معنى الاطمئنان الذي تتميز به هذه مفردة (آنس) عن سواها، فالسير كان ليلاً لأن رؤية النار تُرى ليلاً، كما أنَّ الليلة التي سار فيها كانت شديدة البرودة دلَّ على ذلك قوله تعالى: ((لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ))، وكذلك قد ضلَّ الطريق فقوله تعالى في سورة طه يشر الى ذلك: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ [٢] ، فالمتوقع والحال هكذا أن تحدث الوحشة من هذا المشهد فمحاولة البحث عن أمرٍ آمن، أو عن سببٍ له ضرورة لازمة، فلاشك أنّ الانسان في مثل هذه الحال يكون شديد الاحتياج الى النار؛ لأنَّها سبب النور له والدفء في هذا الحال وتبيين معالم الطريق، لذا آثر القرآن الكريم الفعل (آنس) ليُصور حالة الوحشة التي كان فيها سيدنا موسى (عليه السلام) قبل رؤية النار، وليُعطي دلالة الاطمئنان النفسي الشعوري التي رآها وفرح بها[٣]،فالتأثير النفسي الذي صورته هذه المفردة هو توظيف ملازم لذلك المشهد المرعب للنفس البشرية قصده التعبير القرآني هنا.

كما تشير الاستاذة بنت الشاطئ الى لمحة نفسية رائعة في مفردة (تقهر) في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾[٤] بعدما حللت المفردة بيانياً؛ لتنتقل الى معنى نفسي شعوري حققته كلمة (لا تقهر) في هذا السياق "فلا الظالم، ولا التسلط بما يؤذي، ولا منع الحق، ببالغ في التأثير ما يبلغه قوله تعالى: ((فلا تقهر))"[٥]؛ لأنه يمكن أن يقع القهر على اليتيم، مع إنصافه، وإعطائه حقه المالي، وعدم التسلط عليه بالأذى؛ وذلك لأن حساسية اليتم تتأثر باللفتة الجارحة وبالكلمة العابرة من غير قصدٍ، والنبرة المؤلمة بلا

(١) سورة القصص آية: (٢٩).

(٢) سورة طه آية: (١٠).

(٣) ينظر التحرير والتنوير، العلامة ابن عاشور: ٨ / ٢٢٥، والبنية الحسية في التعبير القرآني، د. ابراهيم سعيد السيد: ٤٨.

٤ سورة الضحى : آية (٩).

٥ التفسير البياني، بنت الشاطئ:

تنبهٍ، وإن لم يصحبها تسلط بالأذى أو غلبة على ماله وحقه[١]، فالقهر كما يحصل في ضياع الماديات يقع في المعنويات لذلك راعى النفي (لا تقهر) المعنى الشعوري الذي يمكن أن يؤذي اليتيم.

والمتأمل لتحليل الاستاذة بنت الشاطئ الذي انتجت به هذا المعنى يجد أنَّه قائم على استبعاد التفسيرات المحدودة للمفردة بما يمكن تسمته بالمعنى العام الى معنى ايحائي كشفته من نفس مادة المفردة يشير الى استبعاد اذيت اليتم معنوياً ولو بنظرة تحزنهُ او كلمة تؤلمُهُ، وهذا مختزل في المفردة غلبته على ما حققته المفردة من معنى مركزي.

ثانياً: تحليل الايحاء الدلالي:

إنَّ كلمات القرآن الكريم شديدة الإيحاء، قوية البعث لما تتضمنه من المعاني كما يقول احمد بدوي، وبسبب من ذلك يُعَدُّ أسلوب التحليل البياني لاختيار التعبير القرآني للمادة المعجمية في سياق محدد، دون ما يشابهها في الدلالة العامة، أسلوباً أساسياً للوصول الى المعنى البياني، فالوقوف الكامل، والتأمل العميق للمادة اللغوية التي تكونت منها المفردة القرآنية وما توحي به من دلالات هامشية من نفس تلك المادة هو ما يُوصِّل المفسر لإدراك المعنى البياني.

فمن المقرر في قواعد التفسير البياني أن اللفظ "إذا كان لغةً يحتمل أكثر من معنى، فإنَّ البلاغة لا تجيز الا معناً واحداً في المقام الواحد يقوم به لفظٌ بعينه لا يقوم به سواه"[(٢)]؛ لأن المفردة القرآنية مقيدة معنوياً وصيغةً بدلالةٍ أعطت بُعْدَاً بيانياً لا يمكن أن تؤديه مفردة غيرها مما يمكنُّها من الاحتفاظ بحسها البلاغي الذي يرسم صورة من صور الاعجاز؛ لذا كانت الرؤية التفسيرية هنا لا تنظر الى المشترك اللغوي باعتباره رؤية أصولية، وإنَّما تنظر إليه إذا أضاف للنص بُعداً من الحشد الدلالي بيانياً؛ لأن المفسر يتجه في تحليل اختيارات التعبير القرآني نحو تحديد معنى بياني تتميز به

١ ينظر: المصدر نفسه:

(٢) التفسير البياني، د. بنت الشاطئ: ٢٩/١.

المفردة القرآنية، تستدعي هذا الملمح البياني من نفس مادتها المعجمية، او صيغتها، او صوتها في سياق معين، ومقام مقصود، لتحقق معناً وفق مقتضيات السياق.

فمن المطَّرد في أسلوب القرآن الكريم اختياره لمادة المفردة القرآنية اختياراً فنياً ليصور بها معناً بيانياً، من ذلك التصوير الرائع التقابل الدلالي الذي تؤديه الكلمة القرآنية فقي قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾[١] استعمل التعبير القرآني لفظ (زرتم) في الآية مُعَبِّراً به عن الموت لكن الملمح الدقيق أن المفردة اعطت تقابلاً دلالياً لا تعطيه مفردة سواها وهو الرجوع وعدم البقاء في القبر لأن " استعمال الزيارة بهذا المعنى صريح الايحاء بأنَّ الاقامة في القبر ليست اقامة دائمة فالزائر غير مقيم وسوف تنتهي زيارته حتماً الى بعث وحساب وجزاء"(٢).

إنَّ التحليل الذي مارسته العملية التفسيرية هنا متوجه الى بيان المحتوى الدلالي لمادة (زار) الذي نشأتْ منه المفردة في هذا السياق لتستبعد ما يمكن افتراضاً أن يقوم مقامها كأن يقال (قبرتم) او (سكنتم) لذلك كشف لنا هذا التحليل (الايحاء الدلالي) في (زرتم).

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[٣] وقوله تعال: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾[٤] في الآيتين استخدم التعبير القرآني مفردة (ميراث) مع لفظ الجلالة، والتحليل البياني يفرض تساؤلاً كيف يرث الله السماوات والارض وهي ملكه؟! والجواب لتعطي هذه المفردة تقابلاً دلالياً وهو (الموت) أو(الهلاك) الذي سوف تنتهي به السموات والارض ومن فيهما، وهذا نتاج التحليل ليكشف ما تحمله المفردة القرآنية

(١) سورة التكاثر اية: (٢).

(٢) التفسير البياني، د. بنت الشاطئ: ١/ ٢٠٠.

(٣) سورة آل عمران اية: (١٨٠).

(٤) سورة الحديد اية: (١٠).

من دلالات هامشية فهي في هذا السياق متجاوزةً معناها المتبادر الى معنى بياني دقيق، فـ(الإيحاء الدلالي) الذي كشفه التحليل البياني يشير الى أنَّ كل من في السموات والارض سيموت ويبقى (الله) سبحانه وتعالى، وقد تنبه الزمخشري الى هذا المعنى الدقيق حين فسَّر معنى الميراث في آية الحديد بالهلاك[١]، وكذلك الرازي حيث قال:" إنَّكم ستموتون فتُرَثُون"[٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾[٣] تذهب الاستاذة بنت الشاطئ الى أنَّ كلمة الضحى في الآية تخصيص لوقت محدد من النهار، وليس النهار كلُّه، وعليه فالمفردة مقيدة دلالياً لغايةٍ بيانية، ومن ثَمَّ ربطت ربطاً بيانياً بين المقسم به وهو ـ وقت الضحى من النهار ـ وبين فتور الوحي الذي عاناه النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي قيل سبباً لنزول سورة الضحى لتُعَبِّرُ به عن ملحظ بياني متميز.

فانبعاث ضوء الشمس في وقت الضحى هو تألقُ ما بعده من تألق لضوء الشمس، ثم يعقبه الليل اذا سجى ليسكن فيه الناس فتقول:" إنَّ المقسم به في آيتي الضحى صورة مادية و واقع حسي يشهد به الناس في كل يوم يتألق الضوء ضحوة النهار ثم فتور الليل إذا سجا وسكن دون أن يختل نظام الكون أو يكون في توارد الحالين عليه ما يبعث على إنكار، بل دون أن يخطر على بال أحد أن السماء قد تخلت عن الأرض وأسلمتها إلى الظلمة والوحشة، بعد تألق الضوء في ضحى النها، فأيُّ عجب في أن يجيء بعد أُنس الوحي وتجلي نوره على المصطفى (صلى الله عليه وسلم) فترة سكون يفتر فيها الوحي، على نحو ما نشهد من الليل الساجي يوافي بعد الضحى المتألق!، هذا هو ما نطمئن إليه في التفسير البياني للقسم بالضحى والليل إذا سجا"[٤] وهي بهذا التحليل للملحظ البياني اعطت تصوراً دلالياً بين اختيار مفردة

(١) ينظر: الكشاف، الزمخشري: ٤/ ٤٧٤.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي: ٢٩/ ٢١٩.

(٣) سورة الضحى من آية: (١ـ٢).

(٤) التفسير البياني: ١ / ٢٦.

التعبير القرآني لمفردة (الضحى) وبين ما كان يعيشه النبي (صلى الله عليه وسلم) من فتور للوحي.

المطلب الثاني: أسلوب تحليل الدلالة الصوتية في المفردة القرآنية:

لم تقف ملاحظة المفسرين في تحليل المفردة القرآنية بيانياً على ما سبق، بل لاحظوا ظاهرة دلالية متميزة في تأليف مفردات النص القرآني من خلال بناءها الصوتي الايقاعي وهي (الدلالة الصوتي) للمفردة، حتى توصلوا في تحليل تلك الدلالة الى السر التعبيري وراء اختيار هذا الصوت الموسيقي خلا غيره، وعلاقة جرس صوتها بالمعنى، وهو ما يسمى في الدراسات الدلالية الحديثة بالمحاكاة الصوتية والمعنى (**onomatopoeia**)، فالمفردة القرآنية موافقة لمعناها صوتياً على قد كبير من التلاؤم المعجز، ولما هو مقصود من إجادها في السياق القرآني على أن هذه الظاهرة لم توجد على حساب المعنى القرآني.

فاللغة ألفاظ وألفاظها ينظر:" فيها تارة من حيث هي أبنية صوتية مادتها الحروف وصورتها الحركات والسكنات من غير نظر إلى دلالتها ... وتارة من حيث هي أداة لتصوير المعاني ونقلها من نفس المتكلم إلى نفس المخاطب بها .... ولا شك أنها هي أعظم الناحيتين أثراً في الإعجاز اللغوي الذي نحن بصدده إذ اللغات تتفاضل من حيث هي بيان أكثر من تفاضلها من حيث هي أجراس وأنغام"[١] مما يعطي للمفردة القرآنية قيمتها الصوتية، وعلى ذلك فإنَّ من يسبر دلالات التعبير القرآني يجد أنَّ القرآن الكريم قد عَنِيَ بالجرس والايقاع كما اعتنى بالمعنى وهو بذللك يتخير اصوات الالفاظ تخيراً يقوم على اساس من تحقيق الموسيقى المتسقة مع جو الآية بل سياق السورة كلها في كثير من الاحيان، وخاصة السور القصار التي حفل بها العهد المكي، فلو نظرنا الى البناء اللفظي في النص القرآني لتذوقنا التلاؤم الصوتي واضحاً جلياً، فلا نجد في ألفاظه تنافراً بين أصوات تراكيبه اطلاقاً، وهذا يعني أنَّ القرآن الكريم يختار ألفاظه

(١) النبأ العظيم، العلامة عبد الله دراز:١٤١.

وينتقيها مراعياً فيها التلاؤم الصوتي فلا يمكن أن نعثر في كل نصوصه على اصوات لألفاظ وحشية غريبة التأليف، ثقيلة على السمع مثل كالشوذب، والعشنط، والشوذب، والعشنق[١] وما يماثلها، بل نجده يولي مبدأ الانتقاء الصوتي اهمية كبيرة، ومثال دقة الاختيار والوضع المطابق للمعنى ننظر الى قوله تعالى:﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾[٢] ونُنعم النظر في مفردة (صكَّت) هل ترى أنَّ هناك لفظةً من حيث الصوت أخرى تستطيع أن تحل محلها؟! هناك اذن اختيار كما أنَّ هناك وضعاً لهذا الاختيار الذي راعى جانب الاتساق الصوتي بين الكلمتين (صرة) (صكَّت) لتكامل دلالي وصوتي بين الكلمة وجارتها ولو لم يكن ذلك لخلَّ النظم القرآني الذي بُنَيَ عليه القرآن الكريم[٣] فللصوت في اللغة العربية " ايحاءً خاصاً فهو إن لم يكن يدل دلالة قاطعة على المعنى، يدل دلالة اتجاه وايحاء يثير في النفس جو يهيئ لقبول المعنى، ويوجه إليه ويوحي به"[٤].

مما سبق نجد ما يؤكد العلاقة الثنائية بين المعنى الصوت؛ لذلك استشعر المفسرون المعنى المتكون من رحم العلاقة التلازمية بين صوت المفردة القرآنية ودلالتها وإن كان هذا التلازم أمر اغلبي، كما لم يكن هو العلة الوحيدة في تحليل المفردة القرآنية بيانياً، من ذلك تكرار صوت الطاء في (يَتَفَطَّرْنَ) من قوله تعالى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴾[٥] لتعطي هذه الدلالة الصوتية تشقق الارض مرة بعد أخرى، وقد لاحظ ابو السعود هذه الدلالة الصوتية محللاً لها بالفارق

(١) كل هذه الكلمات بمعنى الطويل.

(٢) سورة الذاريات آية: (٢٩).

(٣) ينظر: الجرس والايقاع في القرآن الكريم، د. كاصد الزيدي: ٣٣٥،

(٤) فقه اللغة وخصائص العربية، الثعلبي: ٣٧.

(٥) سورة مريم آية: (٩٠).

المعنوي بينها وبين قراءة أخرى وهي (ينفطِرْنَ) مبيناً أنَّ صوت (يَتَفطَّرْنَّ) أبلغ في التعبير؛ لأن اصل (التفعُّل) التكلف[١]، وهو مناسب لمعنى السياق هنا.

المطلب الثالث: أسلوب تحليل بنية المفردة القرآنية:

لم يغفل المفسرون عن التعرض للقيمة البيانية التي تتميز بها البنية القرآنية تحليلاً وايضاحاً، فهو اسلوبٌ بارزٌ من اساليبه، فقد استُعْمِلَتْ صيغة المفردة القرآنية في التعبير القرآني استعمالاً دقيقاً، فبناؤها الصرفي معانق لمعناها الدلالي المقصود في سياق معين، بحيث لا يمكن أن تؤدي دلالتها مفردة اخرى؛ لأن الملاءمة بين صيغتها والسياق التي وضعت فيه ملاءمة فنية بيانية؛ فلا يُعدل من بنية الى بنية أخرى إلا ويصحبها عدول من معنى الى معنى، يقول الدكتور فاضل السامرائي مفرقا بين الوصف (المشتق) والمصدر:" إنَّ المصدر هو الحدث المجرد، والوصف هو الحدث مع الذات، فالمصدر هو الحدث من الذات والزمن؛ ولذا يمتنع الاخبار بالمصدر عن الذات فلا تقول: (محمد سعيٌ) ولا (هو ركضٌ)، بل تقول: (محمد ساعٍ) و (هو راكضٌ)، فإن قلتْ: (أقبل اخوك سعياً) كان المعنى: ان اخاك تحول الى سعيٍ ولم يبقَ فيه شيءٌ من عنصر الذات ، بل تحول الى حدث مجرد، وهذا مبالغة"[٢] فالتغاير في الصيغة فيه تأكيد على وجود معنى بياني لا تقوم به البنية المعدول عنها؛ لذلك فإنَّ التساوي بين بنيتين في نفس الدلالة مما يأباه التعبير القرآني.

اولا: تحليل الدلالة الزمنية للاسم والفعل:

يقول الجرجاني:" إنَّ موضوع الاسم يَثْبُتْ به المعنى للشيء من غير أن يقضي تجدده شيئاً بعد شيئاً، فإذا قلت: (زيد منطلق) تعبيراً بالاسم فقد اثبت له الانطلاق من غير أن تجعله يتجدد كالمعنى في قولك: (زيد طويل) أي: ملازمة صفة الطول لزيد

(١) ينظر: ارشاد العقل السليم، ابو السعود: ٥/ ٢٨٢.

(٢) معاني النحو، د. فاضل السامرائي: ١ / ٧٢٠.

من غير تجدد، أما قولك: (يحفظ زيد) فإنَّه يدل على الحدوث والتجدد"[١] فالتفرقة الثنائية بين الاسم والفعل قائمة على أنّ الاسم يتميز بدلالته على الثبوت، اما الفعل فيتميز بدلالة التجدد والحدوث.

وكذلك يؤتى بالاسم اذا كان الامر لم يحدث للدلالة على أنّ الامر بمنزلة الحاصل الثابت في المستقبل من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٢] فهو لم يجعل الخليفة بعد، وانَّما ذكره بصيغة اسم الفاعل ليعطي الدلالة على أنَّ هذا الأمر حاصل لا محالة كأنَّهُ استقر وتم وثبت، ونحوه قوله تعالى:﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾[٣] فلم يأتي التعبير القرآني بلفظ (سأغرقهم) او (إنَّهم سيغرقون) ليخرجه مخرج الامر الثابت أي: كأنَّ امر العذاب استقر وانتهى[٤].

اعتداداً بثنائية دلالة الثبوت الملتصقة بالاسم، الزمنية المصاحبة للفعل اقام المفسرون اسلوب تحليل بنية الاسم والفعل دلالياً في سياقات التعبير القرآني وكشفوا ما تعطيه كل بنية منهما من معنى بياني في سياقها المحدد، من ذلك قوله تعالى:﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴾[٥] فقد جيء بصيغة الفعل اولاً (**أدعوتموهم**) ثم تحول السياق الى صيغة الاسم (**صامتون**)، فمن الملاحظ عدم التسوية بين طرفي الدعوة والصمت من حيث الصيغة.

وقد تساءل الزمخشري عن مجيء صيغتي (**أدعوتموهم**) و (**صامتون**) متغايرتين، وأجاب محللاً الآية الكريمة بأنَّ المحدَث عنهم في هذا السياق" كانوا إذا حزبهم همٌ دعوا

(١) دلائل الاعجاز، الجرجاني: ١٣٣ ـ ١٣٤.

(٢) سورة البقرة أية: (٣٠).

(٣) سورة هود آية: (٣٧).

(٤) ينظر: التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي: ٢٣، ومعاني الابنية في العربية: ١٠.

(٥) سورة الاعراف آية: (١٩٣).

الله (سبحانه وتعالى) دون اصنامهم ... فكانت حالهم أن يكونوا صامتين عن دعوتهم، فقيل: (إن دعوتموهم) لم تفترق الحال بين إحداثكم دعاءهم، وبين ما أنتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم"[١] أي: أأحدثتم لهم دعاء، ام بقيتم على حالكم من الصمت فالحال واحد.

ومثل ذلك تحليل ابو السعود لدلالة الفعل المضارع (يتوكلون) في قوله تعالى:﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[٢] بالاستمرار التجددي[٣].

فمما سبق نلحظ أنَّ تحليل المفسرين لظاهرة الزمن وعلاقته بالمعنى القرآني ارتكز على أنَّ الجملة الاسمية آكد وأثبت من الفعلية؛ لأن الفعلية فيها دلالة التجدد والحدوث والاسم فيه دلالة الثبوت[٤] وعليه فالتحليل سيبحث عن حركة المعنى في السياق تتضمن الثبوت لتوافق دلالة الاسم، أو الحدوث لتناسب مجيء الفعل، فالمناسبة بين اختيار بنية الاسم أو الفعل والمعنى التي كشف عنها المفسر هي مناسبة تقابليه بلاغية، فالمفسر هنا امام ضرورةَ تلزمه بإيجاد معنى بياني يفرضه السياق القرآني بين الاسمية والفعلية في مثل هذه التعابير.

كذلك وظَّف المفسرون تحليلاتهم للدلالة الزمنية في تناوب استعمال الافعال المتأتية من الحدث الواقع في زمان محدد كأن يكون ماضياً، أو مضارعاً، أو مستقبلاً، وهو أمر متصل بصيغة الفعل المذكور في سياق النص القرآني، فالدلالة الزمنية على الحدث هي النواة التي تنشئ المعنى البياني الذي يريد أن يعبر عنه المفسر من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ

(١) الكشاف، الزمخشري:

(٢) سورة النحل آية: (٩٩).

(٣) ينظر: ارشاد العقل السليم، ابو السعود: ٣/ ١٨.

(٤) ينظر: الاتقان ، السيوطي: ١/ ٣٤٠.

ٱلثَّوَابِ ﴾[١] حيث عبر القرآن الكريم هنا بالفعل الماضي (استجاب) ولم يقل (سأستجيب لكم) لتحقق الاستجابة وهذا المعنى هو ما كشفه التحليل البياني عند تحليل دلالة الفعل الماضي في هذا السياق وهو ما نبه عليه ابو السعود بقوله " وصيغة الماضي ها هنا للإيذان بتحقق فعل الاستجابة وتقررها"[٢].

الخاتمة

الحمد لله في البدء والختام والصلاة والسلام على خير الانام

بعد رحلتي في هذا البحث توصلتُ الى النتائج التالية:

١. أن المفردة القرآنية ذات دلالات بيانية واسعة تحتاج الى مناهج تستجلي دلالاتها، وتكشف طاقاتها التعبيرية.
٢. تنوعت أساليب التحليل البياني في تناول المفردة القرآنية ، فمنها ما هو متوجه الى كشف الدلالة الهامشية أو صوتية... وذلك لأنَّ المفرد القرآنية ذات طاقات دلالية واسعة.
٣. إنَّ التحليل البياني للمفردة القرآنية يُثبت الدرس الاعجازي للنص القرآني، ويؤكد أنَّ التعبير القرآني تعبير فنيٌ مقصود.
٤. كثيرا ما يعدل التعبير القرآني عن مفردة لغوية الى مفردة لغوية أخرى لعلة تعبيرية مناسبة للسياق التي ورت فيه المفردة.
٥. يختلف المعنى القرآني باختلاف اختيار بنية المفردة القرآنية، فلكل بنية معنى بياني موافق لسياقها التي وردت فيه.
٦. إنَّ الدلالة الزمنية للفعل لها أثرها البياني على المعنى من خلال السياق القرآني الذي ورد فيه اختيار نوع الفعل.

(١) سورة آل عمران اية: (١٩٥).

(٢) ارشاد العقل السليم، ابو السعود: ٢/ ٣٣.

قائمة المصادر والمراجع

١. **جامع البيان عن تفسير اي القرآن**، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق الدكتور عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، سنة النشر: ٢٠٠١ .

٢. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي بيروت الطبعة: الثالثة ، عدد الأجزاء: ٤.

٣. **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ

٤. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٥. **التفسير البياني للقرآن الكريم**، المؤلف: الدكتورة عبد الرحمن بنت الشاطئ، الناشر: دار المعارف مصر العربية الطبعة السادسة.

٦. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** : لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ) تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط ١ ، ١٤١٨هـ .

٧. **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، عدد الأجزاء: ٣٠

٨. **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م، عدد الأجزاء: ١.

٩. **النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم**، المؤلف: محمد بن عبد الله دراز (المتوفى: ١٣٧٧هـ)

اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، الناشر: دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة: طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، عدد الأجزاء: ١.

١٠. **معاني النحو**، المؤلف: الدكتور فاضل صالح السامرائي، الناشر: دار الفكر عمان الطبعة الثانية: ٢٠٢٢م عدد الاجزاء: ٤.

١١. **البنية الحسية في التعبير القرآني**، المؤلف: الدكتور ابراهيم السيد ، الناشر: دار النابغة للنشر والتوزيع الطبعة الاولى سنة: ٢٠١٨م.

١٢. **التعبير القرآني**، المؤلف: الدكتور فاضل صالح السامرائي، الناشر: دار ابن كثير بيروت، سنة النشر: ٢٠١٥.

١٣. **معاني الابنية في العربية**، المؤلف: الدكتور فاضل صالح السامرائي، الناشر: دار ابن كثير للنشر والتوزيع، بيروت، سنة النشر: ٢٠١٨م.

١٤. الإتقان في علوم القرآن، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م، عدد الأجزاء:٤.